كتاب

نعت البدايات وتوصيف النهايات

تأليف

الشيخ العلامة الإمام ، الحبر البحر النحرير الهمام ، القطب
الربانى ، والعارف الصمدانى ، كهف الضعفاء ، مأوى
الغرباء سيدنا ماء العينين ابن القطب الكامل

الشيخ سيدى محمد فاضل بن مامين
رضى الله عنهم آمين

وبهامشه فائق الرتق على راتق الفتق للمؤلف المذكور ضاعف الله له الاجور
ويليهما أجوبة . وديوان نجله وخليفته
الشيخ العالم العلامة أبى العباس سيدى أحمد الهيبة حفظه الله

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

(نسب المؤلف رضى الله عنه)

يقول أحمد بن عبد المولى العلمى أحسن قول يتلى بعد الثناء والصلاة والسلام
على النبى المصطفى خير الأنام سلسلة الشيخ المربى الكامل من ذكره يجمل المحافل
محمد المصطفى ماء العينين ابن لقطب جامع الكونين محمد الفاضل ابن مامين
ابن لأخيار بن الجيه ذى لين يدعى بمختار هو ابن للحبيب ابن على بن محمد النجيب
سليل يحيى الأول بن عال ابن لشمس الدين ذى الكمال ابن ليحيى بالكبير القلقمى
يدعى إلى الأب محمد نمى ابن لعثمان بن أبى بكر نسب لذى التقى يحيى فعى لما حسب
ابن لذى المعالى عبد الرحمن ابن أران الزكى أتلان ابن أجلان بن الوفى إبراهيم
ابن لمسعود أخى المكارم ابن لعيسى ابن الجليل عثمان ابن لاسماعيل بحر الإحسان
فحمد وهاب ويوسف عمر يحيى وعبدالله أحمد الأغر ابن لعبدالله من بالأكبر
يدعى ابن ادريس التقى الأزهر مـــن فتح الله به مغربنا وأسس المبنى على التقوى لنا
أبوه ادريس الجليل الأكبر جلب مآثر له لانحصر وجده ذو الفضل عبدالله
الكامل المجد بلا تناه يكفيك عن وصفه ماشاع وذاع من حلمه وعلمه بلا نزاع
أكرم به ابن الحسن المثنى من لايفى بحقه من أثنى إذ هو ابن لعظيم الجاه
الحسن السبط حبيب الله ابن على المجتبى صهر الرسول وأمه فاطمة الزهراء البتول
فله نرغب بكل من ذكر أن يمنح التيسير فى كل عسر بجاه من صلى عليه ذو الجلال
« محمد نبينا بدر الكمال »

(ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى به بداية الخلق ونهايته ، ومنه هدايته واجتبايته ، وبه سيره وثباته وصيانته ، وبه سبب نيله العلى ومكانته ، وصلاته وسلامه على أفضل من به أنيلت هدايته ، محمد الذى به أبصر من أعمته عمايته ، وبه أهدى من أضلته غوايته ، وبعد فيقول عبيد ربه ، وأسير ذنبه ، الذى ليس له إلا رجاء فضل ربه المبين ، ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين ، غفر الله لهم وللمسلمين آمين ، أنه لما كانت وجوه التقرب إلى الله كثيرة ، ومن أفضلها العلوم المعمول بها المنيرة ، التى تهدى إلى الآداب الجمة الغزيرة ، وكان علم التصوف من أفضلها ، وأجلها وأجلها ، لأنه علم به صلاح القلوب ، وبه تهذيبها من العيوب ، وبه انكشاف الحجب عنها لمشاهدة الغيوب ، وله كغيره شروط لابد لطالبه منها ، ولايستغنى فى بدايته ونهايته عنها ، وقد وضع القوم فيه كتباً جليلة ، وافية بشروطه حسنة جزيلة ، لكن قصر عنها وعن شروطها أهل هذا الزمن ، وتعذر عليهم اتباع معرفتها لكون تحريك علوهممهم سكن ، وذلك وقع فيهم لأجل موالفتهم للمألوفات الداعية للوهن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جامع ماافترق ، رازق من توكل عليه وبه توثق ، معين من تكسب بالشريعة وتحقق ، والسلامان على أفضل من عنه العرم انفتق ، محمد خير من تأخر من الكون ومن سبق ، (وبعد) فقد كنت فيما غبر من زمانى ، قلت قصيدة غريبة المبانى ، لعدم تلاصق حرفين منها مع حسن المعانى ، وضعتها فى التوكل وعدم عيب ذى التكسب ، والحث على عدم إظهار الشماتة لمن مسه الدهر بالتنكب ، ثم أنه طلب منى بعض الأخوان شرح تلك الألفاظ ، وتبيين معانيها للقلوب والألحاظ ، فلم يمكنى إلا اسعافه ، بما أراد وبه اتحافه ، خوفا عليه مما قاله الشاعر ، فيمن تعلم علما ولم يفهمه للمناظر

ان الرواة بغير فهم ماحفظوا مثل الجمال عليها يحمل الودع
لا الودع ينفعه حمل الجمال له ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

(وسميته فاتق الرتق على راتق الفتق) ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم عليه توكلت وهو حسبى وهو الحكيم العليم . قلت فى النظم بعد ماقلت بسم الله الرحمن الرحيم .

وعدم مجاهدتهم لأنفسهم لينقل عنهم ماهيم منها عدن ، ومع ذلك كثر فيهم للبدايات والنهايات المدعون ، الذين يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ولذلك قيل بلسان الحال والمقال إنا لله وإنا إليه راجعون، دعت الحاجة إلى وضع تصنيف فيه ، يبين وصف المريد وشيخة المربيه ، ومايجب على كل منهما فيما يليه

وسميته بنعت البدايات وتوصيف النهايات

ومع اختصاره آتياً بالمهمات ، وجعلت كتابين هذا الكتاب ، وفى كل كتاب أربعة أبواب ، فسارت كابواب الجنة الثمانية المعدة للعذاب ، المديمة للنعيم المؤبد بلا ارتياب ، (فالكتاب الأول) فى نعت البدايات ، ومايصلح لأهلها إلى النهايات ، (بابه الأول) فى آداب المريد مع شيخه (الثانى) فى آدابه مع عبادة ربه (والثالث) فى آدابه مع اخوانه (والرابع) فيما من الأقوال والأفعال ينتفع به (والكتاب الثانى) فى توصيف النهايات ، ومايصلح لأهلها إلى المهات (بابه الأول) فى آداب المربى مع ربه (والثانى) فى آدابه مع تلامذته (والثالث) فى آدابه مع غيرهم من الخلق أجمعه (والرابع) فيما من الأقوال والأفعال ينتفع به ، والله أسأل أن ينفع به كل من سمعه أو رآه، أو سمى فى شىء منه ولو قلماً أعطاه ، لمن ينقله أو براه ، أو بالقبول لما سمعه أو سمع به تلقاه ، واستوهب العون عليه من العليم الخبير ، إنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير ، والصلاة والسلام على محمد المهدى به كل خامل وشهير .

الكتاب الأول فى نعت البدايات ومايصلح لأهلها إلى النهايات

الباب الأول فى آداب المريد مع شيخه . ومايصلح له معه إلى تمام رسخه

اعلموا اخوانى وفقنى الله وإياكم لطاعته، وأعاننى وإياكم على مابه أتم مرضاته، أن هذه الأمة اتفقت خلفاً عن سلف أن أول مايجب على المرء بعد انتباهه من الغفلة أن يعمد إلى شيخ ناصح مرشد عالم بعيوب النفس وأغراضها، ودواعيها وأدوية أمراضها ، فارغ من تهذيب نفسه وأغراضها ، يبصره بعيوب نفسه ، ويخرجه من دائرة حسه ، لان من لم يكن له شيخ يقوده إلى طريق الهدى ، قاده الشيطان لامحالة إلى طريق الردى ، ولتعلم أن المريد مشتق من الارادة وهى لوعة فى القلب يطلقونها ويريدون بها ارادة المتمنى وهى منه وإرادة للطبع ومتعلقها الحظ النفسانى وإرادة الحق ومتعلقها

(زُرع رزقٌ راع زرع رُوح ، وذاتُ زارع وراء روحٌ)

(اللغة) زرع كمنع طرح البذر كازدرع وأصله ازترع أبدلوها دالا لتوافق الزاى وزرع الله الشىء أنبته ويقال للصبى زرعه الله أى جبره والزرع النوله والمزروع جمعه زروع وموضعه المزرعة مثلثة الراء والمزدرع وكمسفينة الشىء المزروع وكسكيت ماينبت فى الارض المستحيلة مما يتناثر فيها أيام الحصاد والزرعة بالضم البذر والمراد فى النظم الاول (رزق) الرزق بالكسر ماينتفع به كالمرتزق والمطر جمعه أرزاق وبالفتح المصدر الحقيق والمرة الواحدة بهاء جمعه رزقات محركة ومن شواهد كونه للمطر وفى السماء رزقكم وماأنزل الله من السماء من رزق (راع) اسم فاعل من رعى أمره حفظه والاسم الرعيا والرعوى ويفتح والراعى كل من ولى أمر قوم جمعه رعاة ورعيان ورعاء ويكسر (زرع) أى مزروع (روح) بالضم مابه حياة الانفس ويؤنث والقرآن والوحى وجبريل عليه السلام وعيسى عليه السلام فمن الاول قوله تعالى فنفخت فيه من روحى ومن الثانى أوحينا اليك روحا من أمرنا سمى القرآن بذلك لانه تحيى به القلوب كما يحيى الجسد بالروح ومن الثالث ينزل الملائكة بالروح من أمره يلقى الروح من أمره ومن الرابع قل نزله روح القدس فارسلنا اليها روحنا فنفخنا فيها من روحنا حيث نفخ جبريل فى جيب ذرعها تعرج الملائكة والروح نزل به الروح الامين ويقال الروح أيضا لامر النبوة وحكم الله تعالى وأمره قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى أى علم ربى فالروح خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس ليسوا بملائكة ولاناس يأكلون قاله فى عجالة الراكب وملك عظيم وجهه

الإخلاص وهذه هي التي اشتق للمريد منها اسمه عندهم لأنه المتجرد عن إرادته لما أراد الله منه وهو العبادة قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ويطلق عندهم على شخصين واحد من سلك الطريق بمكابدة ومشاق ولم تصرفه تلك المشاق عن طريقه والآخر من تنفيذ في إرادته الأشياء وهذا هو المتحقق بالإرادة وإذا كان كذلك فلتعلم أن الطرق إلى الله تعالى وقد تعلق كل شيخ بطريقة لا يتعداها بل كلما تحملها خلف عن سلف أداها للطالب على طريقه ، ويمكن له من المواظبة عليها برسم تحقيقه ، من غير تشويش لعزمه ، ولا تشتيت لهمه . بالميل تارة إلى هذه والميل أخرى إلى غيرها فيكون مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء والمبتدئ غير مستقل بالاختيار لأنه غير مستغن عن الشيخ في تعليم الآداب الظاهرة والشرائط المتعلقة بأعمال التعبدات عمن أخذها بالسند المتصل إلى النبي ﷺ الهادي المرسل من غير زيادة ولا نقصان إذ هو الداعي إلى الله تعالى من كل الوجوه حقيقة والشيخ نائب عنه ولو فرضنا المريد اختبارا فإنه ليس في وسعه الثبات عليه إذ الولاية في باطنه للنفس والشيطان فإذا شرع في طريقته وتعلق بها زين له الشيطان أخرى وساعدته النفس وخيل بالبرهان أنها أفضل من هذه ومقصوده اخراجه عن الأولى وقطع سلوكه عليه فإذا انتقل عنها واشتغل بالأخرى زين له الأخرى وهكذا إلى أن يمل الطالب وتسكن حرارة طلبه فيرجع القهقرى فإذا كان في حكم الشيخ تحت كنف ولايته حفظ الشيخ أحواله بقوة ولايته المستفادة من نور الحضرة النبوية وثبته عليها بهمته العاملة وكلامه المؤثر فيعلم بديهة أن الداخل عليه شيطان فيضعف إذ الشيطان لا يقوم أمام الشيخ قال أبو النجيب السهروردي في كتاب آداب المريدين أول ما يجب على المريد بعد الانتباه من الغفلة قصد شيخ مؤتمن ناصح عارف بالطريق فيسلم نفسه لخدمته وبعتقد ترك مخالفته ويتخذ الصدق حالا في صحبته ويلزم الشيخ أن يعرفه كيفية الرجوع إلى سيده ويدله على الطريق المؤدية إلى رشده ويسهل عليه سلوكها ولا يجوز للمريد مفارقة أستاذه قبل انفتاح عين قلبه بل عليه أن يصير تحت أمره ونهيه في خدمته حتى يكمل اه وذلك لأنه لا بد له من مجالسته مادام يجد لنفسه الملالة والقبض لينشط بكلامه المنور بنور شهود الحق والحضور فتندفع عنه الملالة والقبض وتشتعل نار طلبه بحرارة نفس الشيخ وقربه وكذلك مادام يعرض له القنوط من قول الشيطان له إنك لا تصلح للحضرة للعيوب الكثيرة التي أنت بها مرتد فذلك

كوجه الإنسان وجسده كالملائكة ومنه يوم يقوم الروح والنور والهدى والتوفيق وعلى هذه الثلاثة أو أحدها حمل وأيدهم بروح منه (وذات) ذات الشيء حقيقته ونفسه قال تعالى وأصلحوا ذات بينكم أي حقيقة وصلكم أو ذات البين الحال التي بها يجتمع المسلمون (زارع) اسم فاعل من زرع المتقدم وزارع اسم كلب ومنه قيل للكلاب أولاد زارع والمزرعة مثلثة وتحرك موضع يزرع فيه ومنه ما في الأرض زرعة وزرع له بعد شقاوة كمنى أصاب مالا بعد الحاجة وازرع الزرع طال وللناس أمكنهم الزرع والمزرعة المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها ويكون البذر من مالكها وتزرع إلى الشر أسرع (وراء) مثلثة الآخر بنية والوراء معرفة يكون خلف وقدام ضد أولا لأنه بمعنى وهو ما توري عنك والوراء أيضا ولد الولد ومن شواهد وراء بمعنى قدام قوله تعالى وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ومن ورائه عذاب غليظ وكان وراءهم ملك ومن وراءهم برزخ وقول الشاعر أيرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي .. وقوم تميم والفلاة ورائيا

(روح) بالفتح الراحة والرحمة والحياة ومنه قول الشاعر

فالهم فضل وهول العيش منقطع ... والرزق آت وروح الله منتظر

فما رزقت فإن الله جالبه ... وما حرمت فما يجرى به القدر

ويقال أيضا لنسيم الريح وأما الريحان فهو الرزق قال الشاعر

سلام الإله وريحانه ... ورحمته وسماء درر

غمام ينزل رزق العباد ... فاحيا البلاد وطاب الشجر

وفي الحديث الولد ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا

لا يصلح للحضرة الظاهرة مع تلوثك بهذه النجائس والخسائس الظاهرة فيحصل له انكسار عظيم يقضى به إلى يأس وذهاب بهشته فتثقل عليه الأعمال فيملها ويتركها بالتدريج فنى لم يكن فى قرب الشيخ وخفارته لم يتخلص من هذا المكر بل لابد له من مجالسة الشيخ وقربه ولو نال الفتح فى دقائق العلوم وغوامض الأسرار والمكاشفات والكرامات فانه ربما يحصل له الاعجاب والتعالى بها واعتقاد انه عين الكمال فينقذه من ذلك تصوف الشيخ واشارته بل ولو وصل إلى التجليات الروحانية لان التجليات الروحانية كثيرة ماتلتبس بالتجليات الرحمانية فيحسب المريد أنه وصل إلى المقصد الأقصى فينقطع ولا يميز بينهما الا الشيخ الواصل الكامل (تنبيه) اعلم أن قولهم الطرق إلى الله كثيرة يكفيه من الدليل فى السنة قوله ﷺ أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وهو الدليل أيضا على انها كلها موصلة إلى الله تعالى وذلك أن النجوم كلها تطلع من جهة واحدة هى جهة المشرق وتغرب من جهة واحدة هى جهة المغرب كما أنهم كلهم رضى الله عنهم صادرون منه ﷺ موصلون إليه تعالى وهو الدليل أيضا على أن لكل شيخ طريقا لا يتعداها وذلك لان المهتدى بنجم يمنى مثلا لا يمكن أن يهتدى إلى جهته بنجم شمالى لكنه يوصله إلى جهته فى نفسه وهى تكفيه من جهة المشرق ان كان مشرقا ومن جهة المغرب ان كان مغربا فافهم ولهذا طلب من المريد على جهة الوجوب أن يعتصم بشيخه ويتمسك به تمسك الاعمى على شاطىء البحر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية فلا ينازعه فى أمر ولا يخالفه فى ورود ولا صدور وربما يلزمه من الادب معه كونه يصحبه بالاحترام والتعظيم ويتابعه على المنشط والمكره ويكشف له عما يعرض له فى حاله أو يخطر فى ضميره وباله ولا يعترض عليه فيما يكون منه ولا ينظر فى الافعال الصادرة عنه ولا يتعدى له امرا ولا يتأول عليه كلاما بل يقف عند ظاهر كلامه ولا يطلب علة الامر الذى يأمره به بل يبادر إلى امتثاله عقل معناه أو لم يعقله بل وان تيقن خطأه وليعتقد أن نفعه فى خطأ شيخه ان لو أخطأ أكثر من نفعه لنفسه لو أصاب ، وليحذر من الاعتراض على الشيخ بباطنه فانه السم القاتل والاعتراض سبب الانقراض ، واصل كل خير الانقياد ، واصل كل شر الانتقاد ، فقل ان يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيسلم ، واعلم أنه متى صح توجه المريد بالقصد التام إلى الله تعالى رماه إلى شيخ ناصح ، قال ابن عطاء الله جد صادقا تجد مرشدا ،

(الاعراب) زرع فعل ماض مبنى للمجهول ونائبه رزق والثلاثة بعده كل واحد مضاف إليه ما قبله ولا يضر مادون الأربعة من تكرار الاضافة بالبلاغة لقوله تعالى ذكر رحمة ربك وذات مبتدا وابوع مضاف إليه ووراء ظرف مكان وروح مضاف اليه (المعنى) يعنى أنه طرح ووضع رزق حافظ بذر الروح وزرع الروح الذى نعيش به هو الأعمال الصالحة وان ذات الزارع أى المتكسب وراء أى خلف الروح أى النعيم هذا من الناظم حث على التوكل لقوله تعالى وما من دابة فى الارض إلا على الله رزقها وقوله وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين وكان الناظم صرح بهذا لانه جعل صاحب التوكل كالذى طرح له رزقه مفروغ من الشغل فيه وليس على صاحبه الا الاكل والشرب وذات المتكسب بعيدة عن النعيم والراحة لما ينال صاحبه من المشاق والمخاوف والتعب فى تحصيله قال ﷺ أنا وأتقياء أمتى برآء من التكلف وهذا الحديث من جوامع كلمه عليه السلام ولذلك قال بعضهم والتكلف مذموم فى كل شىء حتى فى الكلام واللباس والتمول مع أنه صار دأب أهل هذا الزمان ولا يكاد يسلم منه الا الافراد ، واعلم أن مقام التوكل على الله مقام شريف على بل لا فى مقامات التقوى أعلى منه ولا ما يصدر منه الخير مثل ما يصدر عنه وهو أدل شىء على الإيمان والتقوى وبه وبالتقوى ينال المرء ما يهوى قال الله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض الآية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا وقال ثم ننجى الذين اتقوا الآية وقال والآخرة عند ربك للمتقين وقال انما يتقبل الله من المتقين وقال ﷺ يا أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتيكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة ثم مرأ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب يعنى البركة فى الرزق وقال من اتقى الله أهاب منه كل شىء ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شىء وقال

واعلم أن المريد إذا كانت همته فوق معرفة الشيخ فلابد أن يفتح الله للشيخ فى المعرفة التى تعلقت بها همة المريد وترقى إليها وذلك من بركة صدق المريد فمتى دخل المريد الصادق تحت حكم شيخ وتأدب بآدابه وصار على يقين بما خصه الله به سرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كما يقتبس السراج من السراج إذ كلام الشيخ يلقح باطن المريدان نفائس الأحوال مستودعة فى باطن الشيخ فينتقل الحال منه إلى المريد بواسطة الصحبة والمقال وهذا فى مريد حضر بنفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وبقى فى الشيخ بترك اختياراته فيصير بين الشيخ والمريد امتزاج وتأليف لاهى حتى يرتقى بترك الاختيار همه إلى ترك الاجتيار مع الله ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ، ولتعلم أن الكشف ليس من شرط الشيخوخة وإن كوشف الشيخ فما كوشف من حيث اقتضاء الشيوخة ذلك وإنما يكون فى مصلحة ما أراده الله تعالى فى ذلك الأمر فى حق الشيخ أو فى حق غيره على يديه فمن دخل على الشيخ ليختبره فهو جاهل هالك فإن الشيوخ لا يخبرون ولا يطلب منهم الكلام على الهواجس وإنما تراد منهم معرفة الأمراض والأدواء وأدويتها لا غير ولينظر المريد كون الشيخ بابا فتحه الله تعالى له إلى جناب كرمه منه يدخل وإليه يرجع فلينزل به حوائجه ومهماته الدينية والدنيوية إذ هو الوسيلة بينه وبين ربه واعلم أن المريد إذا فارق الشيخ وتركه قبل أوان انفطامه يناله من الاعلال فى الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال الصبى المفطوم قبل أوان انفطامه ولذلك حرموا عليه المفارقة المذكورة قبل الأوان المعلوم لأنها إلقاء بالأيدى إلى التهلكة قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واعلم أن تصاريف الشيخ محمولة على السداد والصواب إذ لا تخلو من نية صالحة فيها فيجب على المريد أن يكون بين يدى الشيخ كالميت بين يدى غاسله فلا يخطر عليه بخاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع عنده لأنه قد لا يكون كذلك اعتبارا بقضية الخضر وموسى على نبينا وعليهما السلام واعلم أن الشيخ إذا عاتب المريد على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه فليبشر بالقبول والفتح والرضى وكذلك إذا عرضه لما يكون عنده أن له فيه الضياعة لقولهم

وحيث عرضوك للضياع فذلك العين للانتفاع

وإن وقعت منه زلة وسوء أدب وعرف أنه سامحه ولم يعاقبه فليحذر من مكره فى ذلك أو من أن سكوته ناشىء عن حلمه

من خاف الله أخاف الله منه كل شىء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شىء وقال الجوزى كان الشيخ يدور فى المجالس يقول من سره أن تدوم له العافية فليتق الله وقال الأعمش من كان رأس ماله التقوى كلت الألسنة عن وصف ربحه وقال القشيرى فى رسالته وحقيقة التقوى التحرز بطاعة الله عن عقوبته واعلم أنى قدمت لك هذا من الحث على التقوى لأن التوكل نتيجة بل لا توكل لمن لم يتق الله وكلما كثر التقوى كثر التوكل وكل ما قل التقوى قل التوكل تجربة صحيحة ومن فوائد التوكل أن صاحبه لو اجتمع عليه أهل السموات والأرض ما ضروه بشىء قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى أن ينصركم الله فلا غالب لكم وأن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال ﷺ لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ومعنى التوكل أن تفوض أمرك إلى الله وينق به قلبك وتطمئن بالتفويض إليه نفسك ومن كلام الحكيم توكل على الله يكفيك واعتمد على فضله يغنيك قال الشاعر

ولو أنى فوضت فقه وحده كفانى ولم أرجع من الله خائبا

وليس من شرط التوكل ترك الكسب والتداوى والاستسلام للمهالك وذلك خطأ بل حرام فى الشرع وإذا اعتقد أنه لا حول ولا قوة إلا بالله فالحول الحركة والقوة القدرة فإذا كان هذا حالك فأنت متوكل وإن سعيت وقيل لابى حازم ان البرقة خلا فقال والله لو بلغ حبة بدينار ما باليت علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه رزقنا كما وعدنا وقال ﷺ من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها ويروى أن الله تعالى أوحى إلى بعض الأنبياء أن ينادى أن ربكم يقول من تحول لى مما أكره إلى ما أحب تحولت له مما يكره إلى ما يحب

أنه لايجىء منه شيء وإن باسطه لم يترك أدبه بل كلما انبسط معه فليزد فى قلبه المهابة والتعظيم والاجلال والاحترام وكذلك إن ساواه فى المرتبة أوجاوزه فى المقام فانه يتأكد فى حقه الاحترام الزائد والتأدب معه للسببية قال الشاعر

كلما زاد بسطة وخضوعا زدت فيه مهابة وجلالا
ثم إن زادنى علو ارتفاع زدت فى تعظيمى له ودلالا

وليجلس بين يديه مطرقا جلسة العبد بين يدى سيده فاذا أمره بفعل شيء فليثب إليه وإذا عرف له عدوا فليهجره فى الله ولا يجالسه ولا يعاشره وإذا رأى من يثنى عليه ويحبه فليحبه وليقض حوائجه ويتابع ويخدم ويحترم كل من قدمه عليه وإن كان أقل علما وعملا ولا يمشى أمامه إذا سار ولا يمر بين يديه إلا لحاجة له أى للشيخ أوكان خائفا عليه فى ظلمة ونحوها ولا يديم النظر إليه . إذذاك يورث قلة الحياء والأدب ويخرج الاحترام من القلب ولا يكثر مجالسته ولاسيما فى أوقات ضروراته ولايقضى لأحد حاجة حتى يشاوره ولايدخل عليه الاوقبل يديه باطراق ويتحبب إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه ولايتطلع على أموره العادية من أكل أو نوم ، وإن سافر وتركه فى موضع فليتعاهد موضع الاجتماع به بالسلام عليه فى كل يوم فى الأوقات التى كان يأتى إليه فيها كأنه ماغاب عنها ويراعى من حرمة ذريته وزوجاته وأقاربه فى غيبته مايراعيه فى حضوره وليعتقد فى شيخه أنه عالم بالله ناصح لخلق الله على بينة من ربه وحظوة من خصوصيته وقربه ولا يزن أحواله بميزانه إذ قد يصدر من الشيخ صورة مذمومة فى الظاهر وهى محمودة فى الحقيقة والباطن ويجب عليه كتمان ماأسر به اليه من الأسرار الإلهية أو الأمور العادية إذلا يوهب ذلك عندهم إلا للأمناء قال قائلهم .

من ساروره فابدى السر منكشفا لم يأمنوه على الاسرار ماعاشا
وأبعدوه فلا يحظى بقربهم وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا

وينبغى له أن لايترك نفسه تتشوف إلى منزلة فوق منزلة شيخه لاظاهرا ولاباطنا أما باطنا فانه ينظر أنه عاجز عن إدراك منزلته ولو عمل كل عمل وأما ظاهرا فانه يكون مؤثرا له بكل منزلته عالة ويتمنى له غزير المنح وغرائب

ثم اعلم أنه لن يجعل الله من تفرغ لعبادته وشغل أوقاته به كالداخل فى الأسباب ولو كان فيها متقيا فالمتسبب والمتجرد إذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله فالمتجرد أفضل وماعليه أعلا وأكمل ولذلك قال بعض العارفين مثال المتسبب والمتجرد كعبدين للملك قال لاحدهما اعمل وكل من كسب يدك وقال للآخر التزم أنت حضرتى وخدمتى وأنا أقوم لك بما تريد فهذا قدره عند السيد أجل وصنعه به ذلك على العناية به أدل ثم أنه قل ماتسلم من المخالفة أو تصفو لك الطاعات مع الدخول فى الأسباب لاستلزامها المعاشرة للاضداد ومخالطة أهل الغفلة والبعاد
وأشد مايعينك على الطاعات رؤية المطيعين وأشد مايدخلك فى الذنب رؤية المذنبين كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال الشاعر عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ، وكل قرين بالمقارن يقتدى

(ثم قلت) (وراغ ذا وراه ذاك وإذا ، أم رآه رأى راض ذا أذى)

(اللغة) راغ يروغ مال وحاد قال تعالى فراغ إلى أهله فراغ عليهم ضربا باليمين فراغ إلى آلهتهم وفى نسخة راح أى خف ومنه راح للمعروف يروح راحة أخذته له خفة وأريحية ويده لكذا خفت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ومن راح فى الساعة الثانية الحديث لم يرد رواح النهار بل المراد خف إليها ويحتمل أنه من الرواح وهو العشى أو من الزوال إلى الليل وأراح الإبل ردها إلى مراحها بالضم قال تعالى حين تريحون وحين تسرحون (ذا) اشارة إلى المذكر تقول ذا وذاك وتزاد لاما فيقال ذلك أو همزة فيقال ذائك ويصغر فيقال ذيالك وذيالك وقد تدخل هاء التنبيه على ذا ولذى وذه للمؤنث (وراه) بالمد وهو ضد قدلم ومرادف لخلف وتقدم الكلام عليها (ذاك) الكاف فى ذا يدل على البعد سواء كان معه اللام نحو ذلك أو وحده نحو ذاك قال ابن مالك :

المواهب اذ إرادته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه ولأن الهدية دليل على صدق النية وليباعد المريد جهده الانبساط برفع الصوت الا بالذكر والاستغراب فى الضحك وكثرة الكلام بحضرة الشيخ الا اذا باسطه الشيخ فانه يباسطه مع الوقار اذ قد يبلغ بعض المريدين من الوقار مع شيخه الى حد لا يستطيع أن يمتع النظر اليه قال السهروردى كنت أحم فاذا دخل على عمى وشيخى يرشح جسدى عرقا ولا أستطيع أعرف ما أنا فيه من الهيبة والاجلال وكنت أجد لذلك بركة عظيمة وشفاء وكنت يوما خاليا فى البيت وعندى منديل أعطانيه الشيخ كان يتعمم به فوقع قدمى عليه فتألم باطنى غاية وهالنى وضع قدمى عليه قال القشيرى رحمه الله كنت فى بدايتى لا أدخل على شيخى أبى على الدقاق إلا صائما مغتسلا وكنت أحضر باب مدرسته غير مامرة فارجع من الباب احتراما واحتشاما منه أن أدخل عليه فإذا تجاسرت ودخلت كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه تحدر حتى لو غرزت فى إبرة ما كنت أظن أنى أحس بها ولم أذكر أنى فى طول اختلافى إلى مجلسه ومذاكرتى معه بعد حصول الوصلة جرى على قلبى أو خطر ببالى عليه اعتراض إلى أن خرج من الدنيا رحمه الله وقال القرطبى صاحب التفسير من لم تجتمع برؤيته ولم تنتفع بصحبته من لم يأخذ كلام شيخه بالقبول خرج نور الاقتداء من قلبه ومن لم يرشيخه نائبا عن الحق فيما يأمره به لا يصل إلى الحق ومن تأدب مع شيخه تيسر له الأدب مع ربه وكل من أهله الحق لمعرفته فيض له عالما وليا يقتدى به وكلما أشكل عليه شىء من حال الشيخ وأمره ذكر قصة موسى مع الخضر على نبينا وعليهما السلام ولذلك إذا رأى من الشيخ مايرى أنه غير مشروع عنده فليتهم نفسه وليحمله على قصور علمه ونظره إذ قد يكون للشيخ فيه دليل وبرهان قصر فهمه عن إدراكه ومما ينفعه فى دفع الإنكار كون الكامل من دونه لحاله ليس بكامل وليعتقد أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منه وأشد اهتماما بها إلا أنه لو طلب لصحة ماينكر عليه وجها وتفكر لظهر به ولا كن النفس لا تساعده بل تعطى وجه الصحة وإن كان واضحا بينا وتلقنه وجه الفساد وإن كان خفيفا ضعيفا لتستوفى حظها من الفساد والافساد عليه ومن جنس الاعتراض أن يكون مسلما بالظاهر معترضا بالقلب وذلك مما يقطع

ولما البعد انطقا بالكاف حرفا دون لام أومعه

قوله حرفا يعنى أن الكاف فى ذلك حرف خطاب تبين أحوال المخاطب من كونه مذكرا أومؤنثا مفردا أومثنى أو مجموعا فيقال ذلك وذاك وذا لكما لمثناهما وذالكم وذالكن وقيل إذا كان ذا وحدها دل على القرب فى الإشارة وإذا كان مع الكاف وحدها دل على التوسط وإذا كان مع اللام دل على البعد (وإذا) قال فى مغنى اللبيب إذا على وجهين أحدهما أن تكون للمفاجأة أى الهجوم والبغتة فتختص بالجمل الاسمية ولا تحتاج لجواب أى لعدم تضمنها للشرط ولا تقع إلا فى الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال نحو خرجت فإذا الاسد بالباب ومنه فاذا هى حية تسعى إذا لهم مكر وهى حرف عند الاخفش ويرجحه قولهم خرجت فاذا إن زيدا بالباب بكسر ان لأن إن لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وظرف مكان عند المبرد وظرف زمان عند الزجاج والوجه الثانى أن تكون لغير مفاجأة والغالب أن تكون ظرفا للمستقبل متضمنة معنى الشرط وتختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس الفجائية وقد اجتمعتا فى قوله تعالى ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون وقوله تعالى فاذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ويكون العمل بعدها ماضيا كثيرا ومضارعا دون ذلك وقد اجتمعتا فى قول أبى ذؤيب .

والنفس راغبة إذا رغبتها ، وإذا ترد إلى قليل تقنع دخلت فى الأول على الماضى وفى الثانى على المضارع (أم) أى قصد وفعله كنصر ومنه ولا آمين البيت الحرام (رآه) الرؤية النظر بالعين وبالقلب ورأيته رؤية ورؤيا وراءة ورأية ورئيانا والرؤيا مارأيته فى منامك جمعه رؤى كهدى (ورأى) مصدر من رأى كما تقدم قريبا والرأى الاعتقاد جمعه اراء وأراءاء وأرى ورى ورى ورءى كفتى وتراء القوم رءا بعضهم بعضا قال تعالى فلما تراءت الفئتان وفى الحديث أرايتك وأرايتكما وأرايتكم وهى كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرنى وأخبرانى وأخبرونى والتاء مفتوحة قال تعالى أرونى

الرابطة بينه وبين الشيخ وبوقع بينه وبينه مفارقة بمعنوية فلا ينفعه التسليم باللسان مع وجود الانكار بالباطن إذ الرابطة أمر معنوى ولا تعلق له باللسان وإنما يتعلق بالقلب فاذا تمكن الانكار فيه زال اتصال الباطن فلا تبقى بين قلبه وبين قلب الشيخ علاقة فينسد طريق الفيض الذى يصل من قلب الشيخ إلى قلوب المواريد عنه وبسبب قطعه ينقطع عنه المدد فيكون إذا مع الشيخ باللسان وبالقلب مع النفس والشيطان فيعد من جملة المخادعين ومن قبيل المنافقين فإذا تحققت هذا وجدت ترك الاعتراض على الشيخ وقاية من الاعتراض على النبى صلى الله عليه وسلم لأنه نائب عنه والواسطة حكم الموسوط وترك الاعتراض على النبى وقاية من ترك الاعتراض على الله قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله يروى أن بعض أصحاب الجنيد سأله عن مسألة فأجابه فعارضه المريد فى ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لى فاعتزلون ولتعلم أن آداب المريد بحال واسع الاكناف رحب عريض الاطراف مبناه على قواعد سير الصحابة الكرام مع الرسول المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام وتلك القواعد مبنية على ماأشار اليه إلهنا العلام قال تعالى ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم إلى تشعرون وقال إن الذين يغضون أصواتهم إلى عظيم وقال ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلى عليها إلى غير ذلك من الآى تفضل الله علينا وعليكم بتوفيقه الذى تنال به كل خير ويدفع به ربنا عنا كل ضير ثم لتعلم أن ضابط الأدب مع الاشياخ فى أمرين أحدهما التسليم والانقياد فيما يفعلون ويأمرون والثانى صد النفس عن ترفها وتزينها معه وهذا يختلف باختلاف الناس والبلدان فمما ما الترفه عنده فى كثرة الطعام ورقة اللباس كارض الغرب وما قاربها ومنها ماالترفه عنده فى تعدد اللباس واختلاف ألوانه ولذاذة الطعام كالمشارق ونحوها ومنها ما الترفه عنده فى طول الكم وحسن الثوب وطول اللمة وحسنها والاجتماع مع الجنس والضحك معه كبلادنا غفر الله لنا ولأهلها وللمسلمين آمين إلى غير ذلك مما يطول بناجلبه فعلى المريد أن ينظر إلى مايعجبه فى نفسه ومايألفه فى بلده كل جنسه ويترك من ذلك ما يكون فيه فساد قلبه ويأخذ منه مايصلحه ومافيه مرضاة ربه وكل من مات شيخه قبل كماله ولم يستخلف ممن تخرج على

ماذا خلقوا من الأرض أرونى ماذا خلق الذين من دونه وقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورءيا أى منظرا فهو من الرؤية قال محمد بن نمير (أشاقتك الظعائن يوم بانوا . بذى الرأى الجميل من الاثاث) (راض) اسم فاعل من رضى عنه وعليه يرضى رضى ورضوانا ويضمان ومرضاة ضد سخط فهو راض من رضاة (أدى) أى فعل الأذى وهو المكروه (الاعراب) وراغ ذا فعل ماض وفاعله ووراء ظرف مكان ذاك مضاف اليه وإذا ظرف أم فعل ماض فاعله ضمير يرجع إلى ذا رآه فعل ومفعوله وفاعله ضمير يرجع أيضا إلى ذا رأى مفعول مطلق راض مضاف اليه ذا مبتدأ أذى فعل ماض فاعله ضمير مستتر يرجع إلى ذا الذى قبله والجملة خبر ذا (المعنى) يعنى أن ذا القريب فى البيت الذى هو المتكسب المعبر عنه الزارع راغ أوراح خلف ذلك المتقدم الذى هو صاحب التوكل ولم يبلغ درجته ولو فعل مافعل وأن صاحب التكسب إذا قصد صاحب التوكل ليزوره مثلا رآه راض بمعنى أنه برى حالته التى هو فيها مرضية عنده وهو مع ذلك لايفعل فعله ولذلك قال آخر البيت ذا أذى أى هذا يؤذى من وقع فيه لأن مافيه المتوكل من الأوصاف والتجرد لله ليس بممنوع من المتسبب ولا حائل أحد بينه معه وهو راض به ومع ذلك لايفعله أعاذنا الله وإياكم من البلاء ودرك الشقاء وتلك حكمة بالغة وتصديق لقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وأما هو لو شاء وقدر له أن يفعل لفعل لأنه لا مانع له من الفعل كما قال الشاعر :

(إذا أعجبتك خصال امرىء ، فكنها يكن منك مايعجبك ، فليس على المجد والمكرمات ، إذا جئتها حاجب يحجبك)

أعلم أن سبب رضى صاحب التكسب على صاحب التوكل أنه أسخط الناس بالانقطاع إلى الله وطلب رضاه أرضى الله عليه الناس قال صلى الله عليه وسلم من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس وقال من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن

يديه من يقوم مقامه فى اقامة طريقه وسياسة مريديه على تحقيقه تعين عليه الانتقال إلى من يربيه ويكمل له بقية ترقيه وليعتقد المريد أن طريق شيخه أشرف الطرق لأنه إن لم يكن يعتقد تشوفت نفسه إلى ماهو أشرف منه وماثم طريق أشرف منه لأن الطرق وأن تعددت واختلفت مرجعها كلها لأمر واحد هو الفناء فى مشاهدة الله والنظر اليه عن كل ماسواه لأنها طرق الملائكة والخلفاء من النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين وهؤلاء الأصناف هم أعلم الخلق بالعلوم الإلهية التى هى أشرف العلوم واجلها ، قال الغزالى رحمه الله ماذا يقول القائل فى طريقة أولها شغل القلب بالذكر وأخرها الفناء بالكلية فى الله إلى أن تكون حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة الذى ليس على وجه الأرض نور يستضاء به إلا نوره ولولا ماشرطت لك من الاختصار لأتيتك فى هذا الباب بكثير مما تقر به الاسماع والابصار مع أنى أتيتك بما لاتجده مجموعا فى كتاب فى الاقطار وذلك لاحتياج المواريد اليه فى جميع الأعصار إلا أن الجهال هم المنكرون لأصل ذلك والمتعجبون مما هنالك ويسمعون ويسخرون ولاغرو وقد قال الله تعالى فى أمثالهم فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ، وقال ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه إلى الحريق وكيف يهتدون وفيهم قال الله ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم إلى اهوائهم وأشدهم فى ذلك من يدعى أنه يعلم العلم الظاهر ولو كان يعلمه على الحقيقة ماأنكر على أهل الطريقة لكن فى مثله ، قال تعالى وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ، جعلنا الله وإياكم ممن ذكر فتذكر وممن بصر فأبصر وليكن فى كريم علمك أن من أحسن ماوجدته فى أدب المواريد مع الاشياخ واختصره أبيات الحبر الهمام . والعلم العلام محمد المختار بن جد بن الطالب الوافى الجكنى وهى :

إذا هديت لشيخ واعتصمت به فثق بنيلك نصر الله والأملا

التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس وقال من التمس محامد الناس بمعاصى الله عاد حامده من الناس له ذاماً والمفهوم معلوم وهو أن من التمس مساخط الناس بطاعة الله عاد ذامه من الناس له حامدا وقال من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أسخط الناس برضى الله كفاه الله وقال من أرضى الله بسخط المخلوقين كفاه الله مؤنة المخلوقين ومن أرضى المخلوقين بسخط الله سلط الله عليه المخلوقين خرج هذه الاحاديث راموز الحديث وأيضاً الحالة الحسنة محبوبة عند الأنفس لامحالة ولاحالة حسنة أحسن من حالة شخص تارك أنواع التدبير وأهله مع ذلك مكفى المؤنات حسن الحالات محفوظ من المخلوقات وماذلك إلا لحسن توكله حتى كفى من الشيطان وهو قال تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال فى التنوير قلوب ليس للشيطان عليها سلطان من أين يطرقها وساويس التدبير أو برد عليها وجود التكرير وفى الآية بيان ان من صحح الإيمان بالله والتوكل على الله فلا سلطان للشيطان عليه لأن الشيطان إنما يأتيك من أحد وجهين إما تشكيك فى الاعتقاد وإما بركون إلى الخلق واعتماد فأما التشكيك فى الاعتقاد فالإيمان ينفيه وأما السكون أى الركون إلى الخلق والاعتماد فالتوكل على الله ينفيه ، واعلم أن سلامة القلوب من التطهير فى شأن الرزق مة عظمى لاينالها إلا الموقنون الذين صدقوا الله فى حسن الثقة فاطمأنت قلوبهم إليه وتحققوا بالتوكل عليه حتى قال بعض المشايخ احكموا لى أمر الرزق ولاعليكم من سائر المقامات جعلنا الله وإياكم ممن تولاه فى الحياة وبعد الممات ثم قلت

(أذن داع أولُ وذان درءٌ وراودوه رَوْدَان)

(اللغة) أذن لشىء كسمع إذنا بالكسر ويحرك وأذانا وإذانة علم به فأذنوا بحرب أى كونوا على علم وأذنه الأمر وبه أعلمه وأذن تأذينا أكثر الإعلام وأذن إليه وأذن له استمع قال تعالى وأذنت لربها وحقت قال الشاعر :

لاتيأسن وظن البوء جنبه وأسلم له النفس والأولاد والشغلا
وصن علومك وابغ مالديه ولا تبغ النزاع ولاالمراء والجدلا
لاترغبن رجوعا إن نزلت به فكن كميت إذا فى القبر قد نزلا
وكن أديباً ذليلا واستغيث به لاتزهدن إذا ترى به خللا
والأمر والنهى بادر إن بليت به فامهض وكف سر يعالاتكن كسيلا
وظن إ خيرا بما تراه فاعله من بحر كنز علوم الله مافعلا
واقصد شمائله واحل نكايته فلا تخل أبداً نداه زلالا
واحفظ رعايته واحفظ ودائعه تشهد مشاهده تكمل كما كملا
وعد زيارته ترى زيارته تفرج الهم والكروب والعللا
واسلك مسالكه واقصد مقاصده كل المواهب إن حصلت ذا حصلا
فهو الذى اختاره المولى وطهره قد خص بالقرب والتجديد واعتدلا

انتهت وفيما هى فيه كفت وذلك أن مافيها هو قطب رحا الآداب مع الأشياخ الذى به تنال المعارف والتطهير من الأدران والأوساخ ، ثم لتعلم أن ماتقدم من الآداب والأوصاف إنما هو للمريد الذى سلك الطريق بمكابدة ومشاق ولم تصرفه تلك المشاق عن طريقه وأما الآخر الذى هو من تنفذ إرادته فى الأشياء الذى هو المتحقق بالإرادة إنما هو من فنيت إرادته فى إرادة الله لا يلتفت إلى حظه ولا إلى حظ سواه وقد سلب اختياره فى اختيار شيخه سراً وعلانية كل مافعل شيخه فيه ترى أن شيخه فيه على نية ذلك أن سلب الاختيار فى الاختيار هو الذى به ينال أعلى مقامات الأخيار ، وقد سألت شيخنا أطال الله بقاءه وأدام علينا مع مرصانه دنيا وأخرى لقاءه فقلت له ياسيدى ماسلب الاختيار فى الاختيار ، قال لى هو كما قال بعضهم أريد أن لاأريد وهذا الوصف إذا صار فيه المرء صار من

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

والآذن بضم وبضمتين الرجل المستمع القائل لما يقال له ومنه ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم وأذن تأذيناً نادى قال تعالى ثم أذن مؤذن أيتها العير ومنه وأذن فى الناس بالحج وتأذن اعلم قال تعالى وإذ تأذن ربك ومنه وأذان من الله ورسوله (داع) اسم فاعل من دعا إلى كذا بمعنى نادى والدعاء الرغبة إلى الله تعالى دعا دعاء ودعوى وهو منى دعوة الرجل أى قدر ما بينى وبينه ذلك ولهم الدعوة على غيرهم أى يدأ بهم فى الدعاء وتداعوا عليه تجمعوا ودعاه سافه والنبى صلى الله عليه وسلم داعى الله ويطلق على المؤذن ودعا عبد ومنه إذا علم ماتدعون من دونه أى تعبدون ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ومنه ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك ومنه إ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وقوله ولهم مايدعون يطلبون ويتمنون والعرب تقول ادع على من شئت أى تمن ومنه ولكم فيها ماتدعون (أول) الأول ضد الآخر أصله أوأل أو وأل جمعه الأوائل والأوالى على القلب والأولون وهى الأولى جمعه كصرد وركع وإذا جعلت أولا صفة منعته وإلا صرفت تقول لقيته عاماً أول وعاما أولا وعام الأول قليل وتقول مارأيته منذ عام أول ترفعه على الوصف وتنصبه على الظرف وأبدأ به أول تضم على الغاية كقبله قبل وفعلته أول كل شىء بالنصب وتقول مارأيته مذ أول من أول من أمس ولاتجاوز ذلك وهذ أول بين الأولية وتحذف الياء فى مادة وأل وذان تثنية ذا والألف علامة للرفع ويجعلها الياء فى حالة النصب والجر قال ابن مالك ذكره القاموس جميعها الألف ، جراً ونصباً بعد فتح قد ألف (درء) الدرء الدفع والفعل درء كجعل قال تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة فادرؤا عن أنفسكم ويدرؤا عنها العذاب ومنه فادارأتم أى تخاصمتم لأن المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا وقال سعادة هلا درأت الخصم حين رأيتهم ، جنفاً على وبالشر وبخصلم

المتوكلين الذين تولاهم الله في الأمور أجمعين ونفذ لهم إرادته في جميع المكونين لكن هذا المريد قل من يسلك طريقه ويتحقق تحقيقه وذلك لثقل النفس في هذا الفلك ولقلة من لها عن مألوفاتها ملك ، ولذلك ترى اليوم من تسمى باسم المريد يتحلى بحظوظ نفسه ويتخلى عن التسديد ولا يزن أعماله بالشرع ويجفوا ما من الأدب والعلم بالطبع وهو مع هذا يظن أنه يفوز بالوصول فهيهات ما أبعد الفرع من هذا وأحرى الأصول وقد جمع شيخنا أطال الله حياته وصف هذا المريد في أبيات من مطية المجد لعمري أنها لمن أحسن ما يجعل في القصد وهي قوله :

ومن أراد الذي منه يراد ... ذاك المريد قد سما بين العباد
يفعل ما ساء وسر ونفع ... وضر لاتباع ما الشرع وضع
مع سكونه بلا اضطراب ... تحت مجاري قدر الوهاب
وقد صرف همته إليه ... وترك النفس اتكل عليه
وطمعاً قطع عن خلائق ... لنسبة المنع العطا من خالق
لذاك كان الله في رضاه ... على حسب مرضاته مولاه
طريق ذا المزيد قل من سلك ... لثقل حمل النفس في هذا الفلك
وقل من يصلح فيه الظاهرا ... كيف بمن يراقب الخواطرا
ترى الذي يسمى بالمريد ... بزيهم تنحى عن تسديد
خلى حساب نفسه وركنا ... لراحة وحظ نفس سكنا
ولم يزن أعماله بالشرع ... والعلم قد جفا له بالطبع
يظن أنه يفوز بالوصول ... دون سلوك وامتحان وفصول

والفصول هي فصل الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة ولولا ما شرطت لك من الاختصار

(وراودوه) أي طلبوه والرود الطلب وهو المراد بقوله (رود) أي طلب كالرياد والارتياد والذهاب والمجيء والمراودة والرواد بالربد بكسرهما والإرادة المشيئة (دان) اسم فاعل من دانا دنواً ودناوة قرب كأدنه ودناه تدنية وأدناه قربه واستدناه طلب منه الدنو والدناوة القرابة والقربى (الاعراب) أذن فعل ماض داع فاعله أول بدل منه لأن المراد منه هو ما أريد بالأول وذلك هو ضابط بدل الشيء من الشيء وان تغاير مفهوماهما نحو جاء زيد أخوك فالمراد بالأخ هو زيد وإن كان بين الأخ وزيد عموم وخصوص مطلق فمفهوماهما متغايران واعلم أن الدعي هنا مسقى معنى الأول لكون الأول الداعي إلى الشيء لابد وأن يكون سابقاً إليه والسابق إلى الشيء أول بحسب من بعده وبهذا المعنى يحسن جعل أول بدلا من داعي وإن شئت جعلت أولا فاعلا وداعياً حالا ولم يظهر نصبه للضرورة وأما في حالة الرفع فالضمة مقدرة في ياء المنقوص وذان مبتدأ والألف نائب عن الضمة في التثنية ودره خبره وراودوه فعل ماض وفاعله ومفعوله ، رود مفعول مطلق دان مضاف اليه (المعنى) قوله أذن داع أول يعني أن الأول الذي هو المتوكل أعلم حال كونه داعيا إلى الله بما هو فيه من طريق الله يريد ممن يدخل معه فيها وذلك شأن أهل الله من دعائهم الخلق إلى طريق الله واتباعها قال تعالى قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وقال يا قومنا أجيبوا داعي الله قوله وذان دره يعني أن صاحب التوكل وصاحب التكسب كلاهما مدفوع فيما هو فيه من حيث لا يعلم وذلك إن كلا منهما مجبور على ما هو عليه لقولهم العبد مجبور في قالب الاختيار وقال تعالى من يهد الله فهو المهتدي وقال ولو شاء ربك لهدى الناس جميعاً وقال ولو شاء ربك ما فعلوه قوله وراودوه رودان يعني أن كلا من الفريقين طالب لما هو فيه طالب شيء قريب منه لقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وذلك أن صاحب التوكل لا أيسر عنده من التوكل ولا أصعب عنده من التكسب وصاحب التكسب لا أصعب عنده من التوكل ولا أيسر عنده من التكسب فسبحان من أعطى لكل قلب

لايتك بفصل كل نفس ووصف صاحبها سواء من الأغيار أو الأخيار وما يصلح له فى جميع المقامات من الأذكار لكن فى هذا كفاية لمن أراد الله به عناية وبشر نفسك بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لامن يستحق ولامن يتقدم ولامن يتأخر من الفضلاء ، قال صلى الله عليه وسلم امتى أمة مباركة لايدرى أولها خير أو آخرها وليكن هذا آخر هذا الباب والصلاة والسلام على محمد أفضل الأحباب .

(الباب الثانى فى آدابه مع عبادة ربه)

اعلموا أخوانى وفقنى الله وإياكم لما فيه الرضى وأعاذنا ، وإياكم مما فيه البغضى أن حقيقة الأدب اجتماع أفعال الخير فالأديب هو الذى اجتمعت فيه خصال الخير وأما حده فهو كما قال بعض الحكماء وقد قيل له ما الأدب فقال الأدب التمكن وذلك بأن يكون المرء متمكناً من نفسه بمعنى أن كل ما يرادمنه يوجد قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ ولذلك قالوا كاد الأدب أن يكون ثلثى الدين ، وقال الإمام عبدالله ابن المبارك الأدب أشواق أخلاق العبد وقال أيضاً نحن إلى قليل من الأدب احوج منا إلى كثير من العلم وقال الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف وقال أبو نصر السراج التوحيد موجب يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان موجب ايوجب الشريعة فمن لاشريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة موجب يوجب الأدب فمن لا أدب له لاشريعة له ولا إيمان له ولا توحد ، وقال الأستاذ أبو على الدقاق العبد يصل بطاعته إلى الجنة ولا يصل إلى الله إلا بالأدب فى طاعته وقال أيضاً ترك الأدب موجب يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب وقال أبو بكر الدينورى ماارتفع من ارتفع بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة وإنما ارتفع بالأدب وحسن الخلق وقال الشيخ أبو السعود بن أبى العشائر لم تصل أولياء الله إلى ماوصلوا إليه إلا بالأدب ، وقال سيدى على الخواص أشد العذاب سلب الروح وأكمل النعم سلب النفس وألذ العلوم معرفة الحق وأفضل الأعمال الأدب وبداية الإسلام التسليم وبداية الإيمان الرضى ، وقال أيضا ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة أهل الريب وحسن الأدب وكف

ماأشغله قال تعالى قد علم كل أناس مشربهم وقال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أى ممنوعا اعلم أنه تكلم فى هذا البيت على ثلاثة أمور ، أحدها أن أهل الله يدعون إلى طريقته وذلك هو الحكم النبوى الذى تجديده على الدوام مطلوب وفيما فيه من الثواب أبداً مرغوب والدعاء إلى الله هو شأن المرسلين وصحابتهم واتابعهم بإحسان إلى يوم الدين قال تعالى قل هذه سبيلى ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى أى هذه السبيل التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو إلى الله على بصيرة أى ادعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وأنا تأكيد للمستتر فى ادعو ومن اتبعنى عطف عليه يريد ادعو إليها أنا ويدعوا إليها من اتبعنى ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبراً مقدماً ومن اتبعنى عطفا على انا إخبارا مبتدأ فانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لاعلى هوى وطغيان ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعوا عاملة الرفع فى أنا ومن اتبعنى قاله الكشاف والدعاء إلى السبيل يكون بأشياء كثيرة كلها حاصلة فى أمرين هما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان رواه مسلم وفى كشف الغمة وكان صلى الله عليه وسلم لايزجرهم إلا عن حرام وكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى إنسانا يفعل مالا يليق لم يدع أحداً يبادر إلى إنكار عليه حتى يثبت فى أمره ويعلمه الأدب برفق وكان صلى الله عليه وسلم يقول ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأى أحدكم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وأعجاب كل ذى رأى برأيه فعليه بخاصة نفسه وليدع عنه أمر العامة وقال تعالى وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أعلم أن ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أى لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من

الأذى وأقوال السلف والخلف فى مدح الأدب والحث عليه كثيرة فلنقتصر منها على هذا القدر الكافى ولنصرف العنان إلى مانحن بصدده من ذكر آداب المريد فى عبادة ربه الشافى .

(أعلم) ياأخى وفقنى الله وإياك لاقوم طريق وجعلنى وإياك من أهل التحقيق ان كلما يروى ويرى من الشروط والآداب كلها عن قوم العبادات إنما هى التزامات مما لايلزم أصلا إلا أنه لما كان أهل الدنيا ضبطوا أمر دنياهم ورتبوا فيها لأنفسهم أمورا مكملة لأغراضهم ومتممة لأهوائهم كذلك أهل الآخرة ضبطوا أحوالهم فى وجهتهم إلى الله تعالى بأمور مكملة لمقاصدهم متممة لأحوالهم ولكل فريق شرب معلوم كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وكيف يكون ذلك ملتزما أصلا وقد قال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فما كان من الشروط والآداب فانما هو على جهة الكمال لاعلى جهة اللزوم فمن استدام ذكر الله على أى حال كان وبأى وجه أمكن ابتغاء فضل الله ومرضاته لابد من نجحه وظفره بالمقصود إلا أنه مع الشروط والآداب أسرع للنجح وأولى للفضل والشروط كلها والآداب كلها منحصرة فى خمسه شروط وخمسة آداب كما قال شيخنا أطال الله حياته فى كتابه المسمى ببدر التم وسأجلب لك كلامه تبركا بما من البركة تم . أما الشروط فأكدها الذى عليه ينبنى أساسها المقصد لان المقاصد هى أرواح الأعمال ولايستقيم عمل لاروح له فلابد من احضار قصد بين يدى الذكر يبنى عليه الفكر تدبره لمعنى الذكر وبحسب تلمح الفكر معنى القصد أثناء الذكر تكون قوة التأثير فى النفس والمقاصد تختلف باختلاف الأذكار (الثانى) الذى يلى الأول فى التأكيد المجاهدة فى مدافعة الخواطر عن الفكر المغايرة لمعنى الذكر وردها على حسب الإمكان لتصفو مرآة النفس لتلمح معنى الذكر لأنها لاتختلج فى الفكر فى معنى الذكر حتى يغيب عن الحس إذ من الحواس تستمد مواد مألوفاتها ومتعلقاتها فعلى قدر الخروج عن شواغل الحس يكون خرق حجاب الغفلة فإذا كان سبيل النجاة من ذلك المجاهدة فى مدافعة الخواطر فإن لم تذهب عنه بالجملة فستذهب شيئاً فشيئاً حتى لايبقى منها أثر واعلم إنى ماقدمت هذين الشرطين إلا لتأكيدهما ولانبناء غيرهما من الشروط عليهما ولو كان

الثقلين وقيل من بلغه إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً صلى الله عليه وسلم وبالجملة فالدعاء إلى الله من شأن أهل الله المتقين من ولاة الأمور والعلماء العاملين واعلم أنه لاادعى لناس إلى الله مثل أن يكون الداعى لهامستقيما فى نفسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اجذبوا الناس بأفعالكم ولاتجذبوها بأقوالكم وفى الحكم ذو الاستقامة فى أمره ينال مراده ويسود على غيره والاستقامة التابعة للسنن المحمدية مع التخلق بالأخلاق المرضية قال الشاعر

إذا كنت تسعى فى الزيادة فاستقم ... تنل المراد ولو سموت إلى السما

ألف الكتابة وهو بعض حروفها ... لما استقام على الجميع تقدما

ولذلك ذم تعالى من يأمر الناس بالبر ويترك نفسه بقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون واعلم أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح فى العقول إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام وعن أنس رضى الله عنه قال قال عليه السلام مررت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت ياأخى ياجبريل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وقال عليه الصلاة والسلام ان فى النار رجلا يتأذى أهل النار بريحه فقيل من هو يارسول الله قال عالم لاينفع بعلمه وقال عليه الصلاة والسلام مثل الذى يعلم الناس الخير ولايعمل به كالسراج يضىء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبى يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون لم دخلتم النار ونحن إنما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا إنا كنا نأمر بالخير

غيرهما مقدما استعمالا إذ المستعمل من الشروط أولا التوجه للذكر على طهارة لأن المتوجه إلى الله بذكر ينبغي أن يكون على أكمل الأحوال وأشرفها فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن رجلا سلم عليه وأتى صلى الله عليه وسلم جدار قوم فتيمم عليه ثم رد السلام فقيل له فى ذلك فقال كرهت أن أذكر اسم الله على غير طهارة أشار عليه السلام إلى الكمال مع مافى الطهارة من السر الذى يعود على الباطن بصفاء وتنوير ثم يلى شرط الطهارة فى الاستعمال استقبال القبلة لأن الذاكر يناجى ربه فينبغى أن يكون منتصبا إلى بيت الله وحرمه قال صلى الله عليه وسلم خير المجالس ماستقبلت فيه القبلة مع مافى التوجه إليها من السر الذى يعود بصرف الباطن إلى رب العزة جل وعز وجمع الفكر فى مناجاته فهو سر التوجه إلى القبلة فى الصلاة ثم يلى شرط الاستقبال الشرط الخامس الذى هو خلوة الذاكر ربه فى حال ذكره يقصد مكانا خاليا عاريا عن الشواغل لما فى ذلك من تهيئة الفكر للإقبال على معنى الذكر وتهيئة الموارد على موارد الإخلاص وأسرار الاختصاص وفى انفراده صلى الله عليه وسلم بغار حراء أول أمره دليل لذلك ولم تزل الخلوات من شأن أهل العبادات والرياضات وقلما يفتح على سالك فتح أو يلوح له سر فى غير الخلوة والمراد بالخلوة هنا العزلة وقت تأدية ما التزمه من عدد الأذكار بحسب اجتهاد مرشده لأن ذلك موكول إليه والتزام كل أحد على حسب حاله فيعاملون أهل البداية بالتيسير والتقريب والتدريج إذ النفس إذا أريد إخراجها من مألوفاتها وماتلوثت به من الغفلات دفعة أخلدت إلى العجز وكفت عن الانتهاض وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم إن هذا الدين متين فاوغلوا برفق ولاتبغضوا لأنفسكم عبادة الله (وأما) الخلوة التى لها عدد من الأيام وحد من الأوراد فأمرها إلى الشيخ من كونها ثلاثة أو سبعة أو أكثر إلى أربعين إلى سبعين إلا أنه لداخلها أن يصلى ركعتين إن كان وقت صلاة بين يدى ذكره ثم يحصن نفسه بقراءة يس فإذا دخل بيت خلوته قرأ آية الكرسى اثنى عشرة مرة ثم يجلس كالمحتبى أو كالمتورك جلسته للصلاة مستقبلا القبلة مغمضا عينيه ثم يأخذ فى ورده على ماحد له شيخه فإن شق عليه مكثه على هيئة من هيئات الجلوس فليروح نفسه ملازما الطهارة

ولا نفعله كما قيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال الشاعر :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ° فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالرأى منك وينفع التعليم

وقيل عمل رجل فى الف رجل أبلغ من قول ألف رجل فى رجل واعلم أن من وعظ ولم يتعظ فهو الذميم وبين علم وعلم ولم ينته فهو السقيم قال على كرم الله وجهه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك وأما من وعظ واتعظ فمحله عند الله عظيم روى أن يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهداً فرئى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى وأول ماسألنى منكر ونكير فقالا لى من ربك فقلت أما تستحيان من شيخ دعا الناس إلى الله تعالى كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلى عند النزع قل لا إله إلا الله فقال :

ان بيتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

قاله فى الفخر (الثانى) من الأمور التى تكلم فى البيت عليها أن صاحب التوكل وصاحب التكسب كلاهما آت لما هو فيه من جهة لا بعلمها وذلك أنه تعالى خالق كل شىء وحاكم على كل شىء قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وأذا أراد أمراً قدر له أسبابه واذا أراد أن ينفذ أمراً سلب من ذوى العقول عقولهم حتى اذا نفذه ردها اليهم وليس للعبد من الامر شىء وكيف لا وهو تعالى قال لنبيه الكريم الذى هو أفضل الخلق بالتعميم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ليس لك من الأمر شىء وإذا ضرب الإمام خاف المؤذن ومن أين يكون لأحد شىء وكل شىء سواه فإن قال تعالى كل من عليها فان إلا أن هذا الفناء لايشاهده الآن إلا من فنى عن شهود أفعاله بأفعال الله وعن صفاته بصفات الله وعن ذاته بذات الله فإذا

المائية إن كانت حكمية وإلا فالترابية يكون نومه غلبة قال صلى الله عليه وسلم إذا استعجم القرآن على لسان أحدكم فلينم وأما الآداب فالأول منها خلو البطن من الطعام لأن الطعام يستحيل لبابه دماً فيسرى فى العروق حتى يملأها فيثقل بذلك الجسم ويكثر صعود الأبخرة إلى الدماغ فبذلك يكون الكسل ويستولى النوم وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم لانأكلوا كثيراً فترقدوا فتخسروا كثيراً فعلى قدر كثرة الأكل وقلته تكون حياة الفطنة وموتها قال صلى الله عليه وسلم البطنة تذهب الفطنة وقال ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه فالأحسن للسالك فى حالة توجهه للذكر أن يكون على خلاء من بطنه ولاسيما أهل البداية من أهل السلوك وأما أهل التمكن فلا يخلون حركاتهم ولاسكنة من سكناتهم عن قصد فهم متوجهون إلى الله تعالى بجميع أعمالهم من أكل وشرب ونوم ويقظة وغير ذلك (وروى) أنه سأل من طاووس الدعاء فقال حتى أجد له قصدا (الأدب الثانى) هو الجلوس للذكر على هيئة تقتضى الذل والخضوع والصغار لعظمة الله جل جلاله إذ فى هيئات الظاهر تأثير فى الباطن بحسب مقتضى الهيئة وذلك لأن النفس للعلاقة التى بينها وبين الجسم إذا اتصف الجسم بصفة اتصفت النفس بموجبها فانظر إلى وضع الجبهة على الأرض فى السجود وإلى مايسرى إلى النفس بسبب ذلك من الخضوع والذل والانكسار (الأدب الثالث) اغماض عينيه وكف سمعه ماأمكن إذ بذلك يستعان على جمع الفكر لتلمح معنى الذكر إذ الفكر يتشعب بتشعب الشواغل الواردة عليه من قبل الحواس فكل شعبة من تلك الشعب تأخذ طرفا من الفكر على حسبها وقد يكثر ذلك فيستغرق الفكر حتى لايبقى منه لتلمح معنى الذكر شىء أو تبقى منه نبذة يسيرة لاتفى بالمراد ولاتهدى إلى الرشاد ومن أجل هذا استحبت الخلوة للذاكر ليبعد عن الشواغل إذ الذاكر يناجى ربه فهو حقيق بحسم موادالشواغل عن فكرة العين أشد الحواس شغلا للفكر (الأدب الرابع) إنما ينبغى للمتزم الأعداد ولاسيما الكثيرة كالألف والوف الألوف اتخاذ سبحة يحصر بها عدد التزامه ولايعدل عنها إلى الحصر بالأصابع لما فى ذلك من الاشتغال لفكره

وقع ذلك شاهد الكون فى محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال وشاهدته مجبورا فى كل حال فاعلم أن فناء المريد طهارة النفس من التدنيس وفناء المريد تخلقه بأوصاف التقديس وأهل الصدق فى الإرادة فى باب الأعمال فانون أدباء مع قوله تعالى والله خلقكم وماتعملون وأهل المعرفة فناؤهم فى حضرة الصفات وذلك لهم إسما تحقيقا بقوله تعالى ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ويقال فناء المريد بشهود التوحيد وفناء المراد بالخروج عن المراد وفناء العارف بشهود الاحدية فى حضرة الواحدية وفناء الفرد بتجلى الاحد بالغيبة عن كل أحد وهذا لايكون حتى ترى منزع كون مشهد الحس هو محل جريان الشمس والمراد إذا استوت شمسه عند الزوال أفنت ما كان موجودا من الظلال فاحرص على استواء شمسك بذهاب ظل غمامة حسك كما قال بعضهم :

كان لى ظل ورسوم فاستوت شمس فزال
عشت بالمحبوب حقا بعد ماكنت خيالا

وفى هذا الفناء لايرى الكون إلا كالخيال فى حضرة هذا المقال كما قيل

إنما الكون خيال وهو حق فى الحقيقة
كل من يشهد هذا حاز أسرار الطريقة

واعلم أن الفناء والمعرفة كلاهما نتيجة للآخر لأن من عرف الله فنى عن شهود المخلوقات ومن فنى عرف الله والمعرفة هى البغية القصوى ، وهى الجنة التى تهوى ، بل هى جنة المأوى ، صاحبها ذو انكسار ، ودمع عينه أو قلبه مدرار ، قال تعالى وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق والمعرفة انكشاف يوجب رفع الغطاء عما استتر وتغطى وهو يكون بحسب كل حضرة ومثول ، ومقام واستعداد وقبول ، ومعرفة الفرد فريدة للانفراد وأهليتها غريبة التواجد بين الآحاد ، قال بعضهم :

إذ فى اتخاذ السبحة للحصر سلامة من اشتغال الفكر وداعية إلى اجتماع البال (واعلم) أن اتخاذ السبحة من الأمر المعروف والعمل المألوف الذى لاينكر ، وقد درج عليه السلف الصالح جيلا بعد جيل فلا ينكره إلا كل جاهل ضليل وقد جاء فى حديث مرفوع نعم ذكر السبحة وقفت عليه فى تحقيق المبانى على الرسالة ، وقد جاء أن أبا هريرة رضى الله عنه كانت له سبحة من ألف عقدة لاينام حتى يتممها ، وروى أن أبا القاسم الجنيد كانت سبحته فى يده فقيل له أنت مع شرفك تحتاج إلى سبحة يريدون عمارة أنفاسه بالذكر فقال شىء وصلت به إلى الله لاأفارقه

(الأدب الخامس) ينبغى للملتزم الأوراد أيضاً دون غيره وهو أن يقطع فى أثناء ورده بكلام أو غيره إلا لعارض واجب أو كالواجب إذ الذاكر متى توجه لاداء ورده فهو قادم على الله تعالى يحاطبه ويناجيه ويحاضره فقبيح قطع ذلك بعارض واشتغال عنه بشاغل فكما أن الذاكر يطالب بهذه الشروط المتقدمة والآداب على جهة الكمال لاعلى جهة اللزوم كذلك ينبغى أن يتحير لكل ذكر وقته المشروع فيه اه كلامه أطال الله حياته ولعمرى إنه لشفى الغليل وأبرأ العليل ، وأهدى الضليل ، ثم لتعلم أنه ينبغى للمريد قبل هذه الشروط كلها والآداب ومعها أن يتصور صورة شيخه فى ذهنه ويجعله فى جميع ذلك نصب عينه وسلماً لقربه من ربه عن بينة لأنه إذا استمد بقلبه عند شروعه فى الذكر همة شيخه بالله المدد على قدر الاستمداد . ونصر به على جميع الأجناد ، إذ قلب شيخه يحاذى قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبى صلى الله عليه وسلم دائم التوجه إلى الحضرة الإلاهية (فالذاكر) إذا صور شيخه واستمدمنه فاضت الأمداد من الحضرة الإلاهية إلى قلب سيد المرسلين ومن قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين إلى قلوب المشايخ على الترتيب حتى تنتهى إلى شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه بأسرع من لحظ طرفه فيقوى بذلك على استعمال الآلة إذ هو فى البداية عل مثال الطفل ليس له قوة على استعمال الآلة بالوجه الذى يؤثر ويقع محصلا للغرض وإن كان بيده سيف الله ، قال صلى الله عليه وسلم الذكر سيف الله ولكن لايعمل السيف

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراذ

ثم إن شهود حضرة العرفان ، مانع من شهود الغير فى الأكوان ، روح حياتها منادمة الحبيب ، عند غيبة الرقيب ، قال بعضهم

أنتم حياتى وأنتم مشتكى حزنى وأنتم فى ظلال الليل سمار
فإن تكلمت لم أنطق بغيركم وإن سكت فأنتم عند اضمار

وهذا مجال واسع الاكناف ، بعيد الأطراف ، لوتتبعته لاحتجب إلى مجلدات ، وكثير من الأوقاف ، (الثالث) من الأمور التى تكلم عليها فى البيت هى كون كل من الفريقين طالب ماهو فيه طلب شىء قريب من الشخص وذلك لأمرين أحدهما تيسير الله له لما خلقه له كما قال صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ، والثانى حبه له لأن من أحب شيئا هان عليه الصعب فى تحصيله ، وقرب عليه البعد فى تنويله ، والمحبة تسهل على المرء خدمة محبوبه ، وتيسر عليه ماصعب لنيل مرغوبه ، ولذلك تجد المرء إذا أحب امرأة هان عليه أن يبذل لها جميع ماله ، وان يسير إليها من كل بعد عن رحاله وأن أحب تجارة قطع فى تحصيلها المفاوز ، وبذل فى أخذها المجاوزة ، بل ولو ضربه محبوبه لجل عنده ضربه وقال بلسان الحال والقال ، افعال المحبوب محبوبة على كل حال ، وهذا مما لايقدر أحد ان يكذبه ، فكيف بمن أراد محبة الله وقربه ، وتوكل عليه ، وأراد مالديه ، ومحبة الله ثابتة فى كتابه قال تعالى والذين امنوا أشد حبا لله فامن مؤمن يؤمن بالله ورسوله إلا وهو محب لله تعالى بل الخلق كله محب لله لإحسانه عليهم والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها . وهو المحسن على أجسامها وعليها ، لكن محبتهم على قدر يقينهم ، ومعرفتهم وإيمانهم ، فمتى قوى يقين العبد وتزايدت معرفته وإيمانه تزايدت محبته بقدر ذلك وأول المحبة ترك المعصية ولزوم الطاعة ومحبة رسوله عليه السلام وأوليائه لأنهم أحباؤه ومحب المحبوب محبوب ومن شواهد محبة الله عزوجل فى قلب

إلا بيد ضارب بقوة مستفادة من حضرة نبي السيف قال الشاعر

وعادة النصل أن يزهو بجوهره ... وليس يعمل إلا في يدى بطل

فإذ استمد من شيخه جاءه المدد لا محالة ، قال تعالى وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ثم يرى أن استمداده من شيخه هو استمداد من نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه نائبه ولا علم إلا بتعلم من الشارع أو من ناب منابه في الشريعة إنابة إذ قال عليه السلام إنما العلم بالتعلم إنما الحلم بالتحلم ومن يطلب الخير يؤته ومن يتق الشر يوقه وما تقيده العبادة والتقوى إنما هو فهم يوافق الأصول ويشرح الصدور ويوسع العقول ثم هو منقسم لما يدخل تحت دائرة الأحكام ومنه مالا يدخل تحت دائرة العبارة وإن كان مما تناوله الإشارة ومنه مالا تفهمه الضمائر وإن أشارت إليه الحقائق مع وضوحه عند مشاهديه وتحققه عند متلقيه (واعلم) أن طلب الشيء من وجهه وقصده من مكانه أقرب لتحصيله وقد ثبت أن دقائق علوم الصوفية منح الاهية ومواهب اختصاصية لا تنال بمعتاد الطلب فلزم مراعاة وجه ذلك وهو ثلاث أولها العمل بما علم قدر الاستطاعة ، الثاني اللجأ إلى الله في الفتح على قدر الهمة ، الثالث اطلاق النظر في المعاني حال الرجوع لأصل السنة ليجرى الفهم وينتفي الخطأ وينتشر الفتح وقد أشار الجنيد رحمه الله لذلك بقوله ما أخذنا التصوف عن القيل والقال والمراء والجدال إنما أخذناه عن الجوع والسهر وملازمة الاعمال وفي الخبر عنه عليه السلام من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وقال أبو سليمان الدراني رضي الله عنه إذا اعتقدت النفوس ترك الآنام جالت في الملكوت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علما (ومن الآداب) في العبادات التي لا ينبغي للمريد اهمالها الهروب من إظهار المعاني التي تلوح له وذلك لأن المعاني نور وكلما وتراكمت الأنوار في قلب العبد تمكن وقوى استمداده وكلما أظهر معنى خرج النور أولا فأولا فلا يثبت له قدم في الطريق ومن كلامهم أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ترك الدعوى الصادقة وإخفاء المعاني الخارقة ومنها أيضا الهروب من شرب الماء عقب الذكر بسرعة وذلك لأن الذكر يورث حرقة وشوقا إلى المذكور الذى

العبد دخوله في خدمة مولاه بطيب نفس بلا وجود شدة وصعوبة فإن المحبة كما تقدم تسهل خدمة المحبوب لاسيما الذكر بالقلب لان من أحب شيئا أكثر من ذكره ولتعلم أن محبة الأولياء تفضى بصاحبها إلى نصيب مما يناله الأولياء من الله تعالى فإن قلوبهم شبه المرآة ومن أحبهم يظهر اسمه في تلك القلوب المحبوبة والله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه كل يوم نظرة رحمة فمن كان اسمه مرقوما في قلوبهم ينال نصيبه من الرحمة التي نظر بها إليهم بقدر محبته إليهم وقلوب الأولياء مع الله ومن أحبهم هو غير مفارق لهم وان لم يستطع الوصول إلى رتبتهم فإن المرء مع من أحب والاصل في محبتهم المحبة لله فإن في محبتهم رضوان الله وصار المحب لهم كأنه لم يحب إلا الله ومن أهانهم فقد تعرض لسخط الله كما قيل ان الله عزوجل قال من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة واعلم أن أهل المحبة على أربعة أقسام قوم أحبوه لإحسانه إليهم ولطفه بهم وهى محبة العوام وقوم أحبوه لأجل عظمته وجلاله وعزته وهؤلاء لا تنقص محبتهم الضراء ولا تزيدها النعماء وهى محبة خاصة أبناء الآخرة وقوم تتحل أجسامهم من حرق المحبة وتتغير ألوانهم وقوم لسمن أجسامهم إذا مازجها السرور بشهوده وغابوا عن نعمه ونقمه وهذان مقامهما مقام خاصة الخاصة ومما روى في المحبة أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت عليه السلام وقد جاء لقبض روحه هل خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت فامض وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال ما أعددت كثير صلاة ولا صوم إلا اني أحب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب فقال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك ، وروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر وقد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذى بلغ بكم إلى ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم تركهم إلى ثلاثة

هو المطلوب الأعظم من الذكر والشرب عقب الذكر يطفىء ذلك ومنها حضور مجالس اخوانه للذكر لتكون من أهل البركة التى تنالهم مدى الدهر قال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا ومارياض الجنة يارسول الله قال مجالس الذكر وعن عمر رضى الله عنه غنيمة مجالس الذكر الجنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتحف بهم الملائكة وتتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله تحت عرشه وعنه أيضا مامن قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهيل بن حنظلة ماجتمع قوم على ذكر الله فتفرقوا عنه إلا قيل لهم قوموا مغفورا لكم ولما فيه أيضاً من التعاون على البر والتقوى المأمور به فى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى قال صاحب تأسيس القواعد والأصول قاعدة التعاون على الشىء ميسر لطلبه ومسهل لمشاقه على النفس وتعبه فلذلك ألفته النفوس حتى أمر به على البر والتقوى لاعلى الاثم والعدوان فلزم مراعاة الأول فى كل شىء كالثانى ومنه قول سيدى أبى عبدالله بن عباد رحمه الله أوصيكم بوصية لايجهلها إلا من عقل وجرب ولايهملها إلا من غفل فحجب وهى لاتأخذوا فى هذا العلم مع متكبر ولاصاحب بدعة ولامقلد فأما الكبر فطابع يمنع من فهم الآيات والعبر، والبدعة توقع فى البلايا الكبر والتقليد يمنع من بلوغ الوطر ونيل الظفر قال ولاتجعلوا لأحد من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن وقال أيضا بل بحثوا على أن يجعلوا أهل الظاهر حجة لهم لاعليهم إذ كل باطن مجرد عن الظاهر باطل والحقيقة ماعقد بالشريعة فافهم (قلت) ومما تفضل الله به على أنى ماجاءنى أحد من أهل الظاهر بنص يجادلنى به إلا وغلبته بنصه الذى جاءنى به ولله الحمد والمنة وقال أيضاً قاعدة الفقه مقصود لإثبات الحكم فى العموم بمرادك على إثبات مايسقط الحرج والتصوف مرصده طلب الكمال فرجعه لتحقيق الأكمل حكما أو حكمة والأصول شرط فى النفى والاثبات فدارها على التحقيق المجرد وقد علم كل أناس مشربهم فافهم وقابل كل قوم بالأدب معهم فى فهم والله المستعان وعليه التكلان

آخرين فإذا هم أشد نحولا وتغيراً فقال لهم ماالذى بلغ بكم إلى هذا المقام قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ماترجون ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولا وتغيراً كأن وجوههم المرايا من النور فقال كيف بلغتم إلى هذه الدرجة قالوا بحب الله فقال عليه السلام أنتم المقربون إلى الله يوم القيامة ، وعن السدى قال تدعى الأمم يوم القيامة بانبيائهم فيقال ياأمة موسى وياأمة عيسى وياأمة محمد غير المحبين منهم فإنهم ينادون ياأولياء الله ، وفى بعض الكتب عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى عليك كن لى محباً قال تعالى يحبهم ويحبونه أما محبة الله لهم فلرادة الخير بهم وحقيقتها فى جهته تعالى لايعبر عنها عند المتكلمين لابدلك وحقيقة المحبة عند أهل الحقيقة نار تحرق الأكباد ولوعة تشمو وتزداد كما قيل :

وفى فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها

ويقال حقيقة المحبة كتمان سر المحبوب فيما يحمل على المحب من مشاهدة الغيوب وفى ذلك قيل :

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

وربما هتكت نسمة المحبوب للمحب فطار فرحا وشوقا فكيف به لو رأى حاله عيانا كان يموت حقا وقيل فى ذلك

يانسمة قد سرت لنا سرا سحرا من الحبيب لنا وقد أهدت نفسا
كيف الحقيق وأبيات بذى سلم وكيف خلفت ذاك المنزل القدسا

ويقال حقيقة المحبة خلاص جوهر الروح من الأعراض وفناء النفس عن الحظوظ والأغراض وقيل فى ذلك

أنا الغريب بنجد منذ عرفتهم لم يبق لى معهم مال ولا نسب

هذا ولتعلموا أن مقام المحبة لاينال إلا بالتذلل وفى الحكم إن شئت أن تلتذ بلحمة شهود العيان تذلل لمحبوبك فى سائر الاماكن وكل الزمان. وفى ذلك قال الشاعر :